خطبة بعنوان:

((تذكير البشر بنعمة المطر)) [1]

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبد ه ورسوله صلى الله عليه وسلم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون}[آل عمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ الله الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }[الأحزاب:70-71]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

أيها الأخوة المسلمون..

نحب أن نذكر أنفسنا في يومنا هذا بنعمة عظيمة غفل عن شكرها كثير من الناس ألا وهي نعمة الأمطار.

قال تعالى: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ الله}[النحل:53]

---

[1] ـ تلقى هذه الخطبة عند نزول الأمطار .

وقال تعالى: {وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار}[إبراهيم:34] .

ومن هذه النعم نعمة المطر وما يترتب عليه من خيرات.

قال تعال:" فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ [عبس : 24 - 32]

قال المفسر السعدي رحمه الله: { فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا } أي: أنزلنا المطر على الأرض بكثرة.

{ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ } للنبات { شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا } أصنافا مصنفة من أنواع الأطعمة اللذيذة، والأقوات الشهية { حبًّا } وهذا شامل لسائر الحبوب على اختلاف أصنافها، { وَعِنَبًا وَقَضْبًا } وهو القت، { وَزَيْتُونًا وَنَخْلا } وخص هذه الأربعة لكثرة فوائدها ومنافعها.

{ وَحَدَائِقَ غُلْبًا } أي: بساتين فيها الأشجار الكثيرة الملتفة، { وَفَاكِهَةً وَأَبًّا } الفاكهة: ما يتفكه فيه الإنسان، من تين وعنب وخوخ ورمان، وغير ذلك.

والأب: ما تأكله البهائم والأنعام، ولهذا قال: { مَتَاعًا لَكُمْ وَلأنْعَامِكُمْ } التي خلقها الله وسخرها لكم، فمن نظر في هذه النعم أوجب له ذلك شكر ربه، وبذل الجهد في الإنابة إليه، والإقبال على طاعته، والتصديق بأخباره.اهـ

فالمطر يا عباد الله جعله الله سببا للحياة ,فبه حياة الإنسان والجان والطير والحيوان والحشرات والحيتان والأرض والنبات وجعله الله مصدرًا للأرزاق .

قال تعالى: {وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون} [الذاريات:22] .

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: "وفي السماء رزقكم" هو المطر" وما توعدون" هي الجنة قاله ابن عباس ومجاهد وغيره. اهـ

وقال السعدي رحمه الله : {وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ } أي مادة رزقكم، من الأمطار، وصنوف الأقدار، الرزق الديني والدنيوي، { وَمَا تُوعَدُونَ } من الجزاء في الدنيا والآخرة، فإنه ينزل من عند الله، كسائر الأقدار.اهـ

وقال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الماء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُون}[الأنبياء:30] .

قال البغوي رحمه الله: أي :أحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء حي أي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر يعني أنه سبب لحياة كل شيء. اهـ .

والمطر عباد الله ينقسم إلى قسمين:

مطر عذاب والعياذ بالله, ومطر غيث.

فأما مطرالعذاب كالذي حصل لقوم لوط وهو مطر من حجارة دمرتهم فجعلتهم كأعجاز نخل خاوية وكالذي حصل لعاد وهوعذاب فيها ريح أليم تدمر كل شيء بإذن ربها.

قال تعالى عن قوم لوط: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِين}[الشعراء:173] وقال تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِين * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيل }[الحِجر:73-74] .

وقال عن عاد: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيم * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِين }[الأحقاف:24-25].

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى سحابة يخيل فيها المطر يخاف ويتغير وجهه ويرغب إلى ربه خوفا أن يكون فيها عذاب فإذا أمطرت سري عنه وذهب خوفه.

فقد روى الإمام البخاري ومسلم رحمة الله عليهما عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ، أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَّفَتُ ذَلِكَ في وجهه، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَدْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ»: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ} [الأحقاف: 24] الآيَةَ.

ولهذا ينبغي على المسلم أن يكون عند نزول المطر راجيا طمعا فيما عند الله من الرزق والغيث ,وخائفا من عذاب الله وغضبه لا يكون فيه عذاب ,ولهذا قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون}[الروم:24].

قال المفسر السعدي رحمه الله: أي: يخاف منه الصواعق والهدم وأنواع الضرر، على بعض الثمار ونحوها ويطمع في خيره ونفعه. اهـ

واعلمواعباد الله أن وقت نزول المطر مما استأثر الله به من علم الغيب, فلا يعلمه أحد ولم يخبرنا الله سبحانه بعلامات لمعرفة نزوله إلا إذا كانت ظاهرة مثل هبوب الرياح وتراكم السحب .

فمن ادعى أنه يعلم وقت نزول المطر فهو مشرك شركا أكبر لأنه زعم أنه مشارك لله في صفة من صفاته وهي علم الغيب ومن ادعى أنه يعلم وقت نزول المطر بعلامات لم يجعلها الله علامات لنزوله, فهو مشرك شركا أصغر لأنه اتخذ سببًا لم يجعله الله سببا.

قال تعالى: {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ }الآية[الأنعام:59] وقال تعالى: {إِنَّ الله عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ }الآية[لقمان:34] .

وروى البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مِفْتَاحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا الله لاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ، وَلاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الأَرْحَامِ، وَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ المَطَرُ ".

وأما ما يسمى بأحوال الطقس والإرصاد فهذا ليس من علم الغيب وإنماهو مجرد توقعات ونظر في الغيوم وحركات الرياح وتوجهها, فإذا ما رأوا سحبا وتلبدت السماء بالغيوم فمن ثَمَّ يتوقعون نزول أمطار في منطقة كذا أو هبوب رياح ونحو ذلك ,وقد يحصل ما يتوقعونه وقد لا يحصل ,أما الأيام المقبلة البعيدة فإنهم لا يستطيعون توقع ذلك لأنه لا يعلم ما في المستقبل إلا الله.

فيا عباد الله :المطر نعمة من الله على عبادة وسخر الرياح تسوقه إلى حيث شاء من الأرض, ممن أراد الله سقياهم ولهذا جعل الله الرياح من المبشرات.

قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الماء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون}[الأعراف:57] .

وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا }[الفرقان:48-49]

قال المفسر السعدي رحمه الله: (بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} أي: بين يدي المطر، فيرسلها فتثير السحاب ثم تؤلفه ثم تجمعه ثم تلقحه ثم تدره، فيستبشر بذلك العباد قبل نزول المطر. اهـ.

وقال تعالى:"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [الروم : 46]

فإذا نزل المطر اخضرت الأرض واهتزت وربت وأنبتت من كل زوج كريم ,فبه تحيا الأرض ومن ثَمَّ حياة الإنسان والحيوان ,فإن حياة الإنسان منوطة بحياة الأرض لأن أصله من الأرض ومن الطين فيأكل من ثمارها وينظر إلى بهجتها فيطمئن فؤاده وتسكن نفسه ويهدأ باله ويرتاح عقله.

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ الله لَطِيفٌ خَبِير}[الحج:63] .

ومن نعمة الله علينا أن الله سبحانه وتعالى يُسكن ما زاد من الأمطار في خزانات أرضية في جوف الأرض لينتفع بها العباد في سائر الأيام وخصوصًا في الأوقات التي لم تنزل فيها الأمطار, وذلك عن طريق سيول الأنهار وحفر الآبار فلله الحمد والمنة.

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ}[الزُّمَر:21] .

ومن رحمته أنه ينزل المطر بقدر ما ينتفع به العباد بلا ضرر.

قال تعالى: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُون}[المؤمنون:18].

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: يَذْكُرُ تَعَالَى نِعَمَهُ عَلَى عَبِيدِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، فِي إِنْزَالِهِ القَطْر مِنَ السَّمَاءِ {بِقَدَرٍ} أَيْ: بِحَسْبِ الْحَاجَةِ، لَا كَثِيرًا فَيُفْسِدُ الْأَرْضَ وَالْعُمْرَانَ، وَلَا قَلِيلًا فَلَا يَكْفِي الزُّرُوعَ وَالثِّمَارَ، حَتَّى إِنَّ الْأَرَاضِيَ الَّتِي تَحْتَاجُ مَاءً كَثِيرًا لِزَرْعِهَا وَلَا تَحْتَمِلُ دِمْنتها إِنْزَالَ المطَرِ عَلَيْهَا، يَسُوقُ إِلَيْهَا الماءَ مِنْ بِلَادٍ أُخْرَى، كَمَا فِي أَرْضِ مِصْرَ، يَسُوقُ الله إِلَيْهَا مَاءَ النِّيلِ مَعَهُ طِينٌ أَحْمَرُ يَجْتَرِفُهُ مِنْ بِلَادِ الْحَبَشَةِ فِي زَمَانِ أَمْطَارِهَا، فيَقَرُّ الطِّينُ عَلَى أرضهم ليزرعوا فِيهِ، وَقَوْلُهُ: {فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ} أَيْ: جَعَلْنَا الماءَ إِذَا نَزَلَ مِنَ السَّحَابِ يَخْلُدُ فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ قابليَّة لَهُ،

تَشْرَبُهُ وَيَتَغَذَّى بِهِ مَا فِيهَا مِنَ الْحَبِّ وَالنَّوَى. وَقَوْلُهُ: {وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ} أَيْ: لَوْ شِئْنَا أَلَّا تُمْطِرَ لَفَعَلْنَا، وَلَوْ شِئْنَا لَصَرَفْنَاهُ عَنْكُمْ أو نجعله أُجَاجًا لَا تنتفعون به أو يَغُورُ إِلَى مَدَى لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِ وَلَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ لَفَعَلْنَا. وَلَكِنْ بِلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمُ الماءَ مِنَ السَّحَابِ عَذْبًا فُرَاتًا زُلَالًا فَيُسْكِنُهُ فِي الْأَرْضِ ويَسْلُكُه يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ، فَيَفْتَحُ الْعُيُونَ وَالْأَنْهَارَ، فَيَسْقِي بِهِ الزُّرُوعَ وَالثِّمَارَ، وَتَشْرَبُونَ منه ودوابكم وأنعامكم، وتغتسلون منه وتتطهرون وَتَتَنَظَّفُونَ، فَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. اهـ بتصرف في بعضه.

وقال المفسر السعدي رحمه الله: {فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ} أي: أنزلناه عليها، فسكن واستقر، وأخرج بقدرة منزله جميع الأزواج النباتية، وأسكنه أيضا معدا في خزائن الأرض، بحيث لم يذهب نازلا حتى لا يوصل إليه، ولا يبلغ قعره".اهـ

وقال في قوله تعالى :"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ".

يذكِّر تعالى أولي الألباب، ما أنزله من السماء من الماء، وأنه سلكه ينابيع في الأرض، أي: أودعه فيها ينبوعا، يستخرج بسهولة ويسر. اهـ .

فلا تغفل يا عبد الله عن هذه النعمة ولا تنسبها إلى غير معطيها فإن الله سبحانه يذكرنا بها في سورة الواقعة بقوله: {أَفَرَأَيْتُمُ الماء الَّذِي تَشْرَبُون * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُون * لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلاَ تَشْكُرُون }[الواقعة:68-70].

ومعنى "المزن": أي السحب. "وأجاجا": أي مالحا.

وهو الذي ينزل الغيث حال قنوط الناس وبأسهم وظنهم أنه لا يأتيهم ويأخذون الاحتياطات من الأقوات والأعلاف فينزل المطر فيفرحون ويستبشرون به.

قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيد}[الشورى:28] .

وربما نزل المطر عقب قنوط الناس وقحطهم كما قال تعالى: {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}[الشَّرح:6] .

قال المفسر ابن كثير رحمه الله في تفسيره: قَالَ قَتَادَةُ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعُمَرَ بْنِ الخطاب رضي الله عنه: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قُحِطَ المطَرُ وَقَنَطَ النَّاسُ.

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ الله عَنْهُ: مُطِرْتُمْ. ثُمَّ قَرَأَ :"وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ". اهـ

فالذي يجب على العباد أن يشكروه على نعمه عمومًا وعلى نعمة المطر خصوصاً, وشكر الله يكون بطاعته واجتناب معاصيه وصرف هذه النعم التي تنتج عن الأمطار من سائر الأرزاق فيما يرضي الله سبحانه وتعالى فإن شكر الله دليل الزيادة وكفر النعمة مظنة الزوال ألا ترى إلى قول القائل:

إذا كنت في نعمة فارعهـا ** فإن المعاصي تزيل النعم

وداوم عليـها بشكر الإلـــــه ** فإن الإلـــه سريـــع النقـم

فقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهُمَّ إنِي أَعوذُ بِك مِن زَوالِ نِعمتِك وتَحوِل عَافِيتِك وفُجأةِ نِقمَتِك وجَميعِ سَخطِكِ) رواه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ألا وإن من أعظم كفر نعمة المطر لهو نسبتها إلى النجوم والأنواء والفصول والأوقات كقول بعضهم مطرنا بنوء كذا وبنجم كذا.

قال تعالى: {أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُون * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُون}[الواقعة:81-82].

قال ابن ابن كثيروغيره من المفسرين في تفسير قوله تعالى: { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ } :قال مجاهد: قولهم في الأنواء: مُطِرنا بنوء كذا، وبنوء كذا، يقول: قولوا: هو من عند الله، وهو رزقه. وهكذا قال الضحاك وغير واحد.اهـ

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى:{ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إلا كُفُورًا } .

قال عكرمة: يعني: الذين يقولون: مطرنا بنَوء كذا وكذا.اهـ

وفي الصحيحين عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي

وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مطرنابِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ ".

ففي هذا الحديث بيان تحريم نسبة المطر إلى النجوم والأنواء والكواكب وأن ذلك من الكفر بالله عز وجل ومن كفر النعمة وأن حقيقة الإيمان هو نسبته إلى الله عز وجل.

ذكر ابن عثيمين رحمه الله أقسام الشرك في الاستسقاء بالأنواء فقال: من سأل النجم أو الكوكب ودعاه أن ينزل المطر فهذا هو الكفر الأكبر أو الشرك الأكبر.

ومن نسب المطر إلى النجم أو الكوكب نسبة إيجاد بأنه هو الذي أنزل المطر وهذا أيضا كفر أكبر.

ومن جعل النجم أو الكوكب هو السبب في نزول المطر وأن منزله هو الله فجعل النجم أو الكوكب سببا في نزوله فهذا كفر أو شرك أصغر لأنه اتخذ ما ليس سبب سببا .

أما من جعل هذا النجم أو هذا الوقت ظرفا لنزول المطر كأن يقول: سقانا الله في نجم كذا وكذا فهذا جائز. اهـ بمعناه.

والأفضل أن يقول العبد مطرنا بفضل الله ورحمته هذا هوالكمال في شكر هذه النعمة .

وأما ما يعتقده بعض العامة في بعض الفصول أو النجوم أنها سبب لنزول الأمطار كفصل الخريف ـ مثلاـ فيقسمونه إلى نجوم فإذا خرجت هذه النجوم ولم ينزل المطرفيها يئسوا وهذا من الشرك الأصغر الذي أشار إليه ابن عثيمين رحمه الله.

والحاصل أن الله سبحانه وتعالى يسقي عباده حسب ما تقتضيه حكمته وحسب علمه بمصالح عباده وزراعاتهم, فربما جرت العادة أن الله سبحانه وتعالى يسقيهم في هذه النجوم وفي هذه الأوقات لمصالحهم ,فيعتقد البعض أن هذه النجوم هي السبب لنزول المطر ,لكن عند التأمل فإن الله سبحانه وتعالى قد يسقيهم وقت زراعاتهم لمصالحهم .

ومن الملاحظ أن المطر قد ينزله الله في غيرهذه الفصول أو النجوم, أوفي أوقات لم تجرِ العادة أن ينزل فيها, أوينزل في أوقات قد يئس بعضهم من نزول المطر فيها ,ومن الملاحظ أحيانًا عدم نزول المطر في الأوقات التي جرت العادة أن تنزل الأمطار فيها وهكذا .

فالأمور بيد الله والواجب الاعتقاد أن المتصرف في نزول الأمطار وتدبيرها هو الله سبحانه وتعالى في أي وقت شاء ويمنعها متى شاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه سبحانه وتعالى والله المستعان.

الخطبة الثانية: ((أحكام ومسائل تتعلق بالمطر)).

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيما لشأنه وأشهد أن محمد عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه والصلاة والسلام عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وإخوانه.

أما بعد:

فقد ذكرنا لكم نعمة المطر وأهميته وكيف يكون شكر هذه النعمة, ونذكر الآن بعض الأدعية والأذكار المشروعة عند نزول المطر. وبعض الأحكام المتعلقة بالمطر.

ونذكر بعض أسباب نزول الغيث وموانعه.

فقد رو ى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَأَى المَطَرَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا» .

أي: اللهم أصبه مطرًا لا ضرر فيه من سيل أو هدم أو عذاب.

ويشرع الدعاء عند نزول المطر فإنه قد ثبت أن هذا الوقت من الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء لأنه وقت الرحمة .

فقد روى الحاكم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن سول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ثنتان لا تردان الدعاء عند النداء وتحت المطر".

قوله :"عند النداء": أي الأذان.

قال المناوي رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث: "ثنتان لا تردان الدعاء عند النداء" يعني الأذان للصلاة وتحت المطر أي دعاء من هو تحت المطر لا يرد أو قلما يرد فإنه وقت نزول الرحمة لا سيما أول قطر السنة. اهـ .

ويشرع التسبيح عند سماع صوت الرعد فقد جاء عن بعض السلف التسبيح عند سماعه قال تعالى: {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالملاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَال}[الرعد:13] .والرعد اسم ملك كما سيأتي .

قال المفسر البغوي رحمه الله: عن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته. ويقول: إن هذا الوعيد لأهل الأرض شديد.

وذهب أكثر المفسرين على أن الرعد اسم ملك يسوق السحاب ,والصوت المسموع منه تسبيحه.

قال ابن عباس: من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعليَّ ديته. اهـ.

وروى الترمذي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قال النَّبِي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الرَّعْدِ مَلَكٌ مِنَ الملاَئِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ الله والصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ منه زَجْرَةٌ السَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أمره".

والمطر ينزل برحمة الله ثم بأسباب مشروعة يحدثها العباد وهي التقوى والطاعات والدعاء والاستسقاء والتضرع بين يدي الله بينما المعاصي والفتن وقطع الزكوات من موانع نزول الغيث.

قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون}[الأعراف:96] .

والبركات التي تنزل من السماء هي المطر كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره .

وقال تعالى: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا}[الجن:16] .

وقال تعالى عن نوح عليه السلام: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا }[نوح:10-11] أي غيثا غزيرا متتابعا.

وروى الإمام مسلم رحمه الله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الماءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ - لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ ".

فانظر يا عبد الله كيف اختص الله صاحب هذه الحديقة بالسقيا دون غيره بسبب ما كان ينفق منها .

وبالمقابل فإن الذين يبخلون عن النفقة والزكاة يتسببون في انقطاع الغيث من السماء.

فقد روى ابن ماجه رحمه الله عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ المؤونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا"الحديث.

ومهما كان فإنه إذا حصل القحط وجفاف الأمطار فلا يجوز اليأس والقنوط من رحمة الله فيشرع للناس أن يتضرعوا إلى الله ويخرجوا إلى المصلى متبذلين متخشعين فيخطب بهم أحدهم ويدعوا الله ويصلي بهم ركعتين ثم ينصرفون .

ويشرع لخطيب الجمعة أن يستسقي في خطبته فيرفع يديه ويدعوا الله أن يغيثهم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم, أما ما يفعله بعض الأئمة من أنه

يصلي بهم ركعتين صلاة الاستسقاء بعد صلاة الجمعة فهذا محدث ليس من السنة فإن السنة هو الخروج إلى المصلى كما تقدم.

فقد روى البخاري ومسلم عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وِجَاهَ المِنْبَرِ، وَرَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله: هَلَكَتِ المَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ الله يُغِيثُنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا» قَالَ أَنَسُ: وَلاَ وَالله مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلاَ قَزَعَةً وَلاَ شَيْئًا وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ، وَلاَ دَارٍ قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ، انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: وَالله مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله: هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ الله يُمْسِكْهَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالجِبَالِ وَالآجَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَانْقَطَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ.

ومعنى قوله "هلكت الأموال": هي المواشي من قلة الأقوات بسبب عدم المطر والنبات. وقوله: "وقطعت السبل": أي الطرق فلم تسلكها الإبل بسبب عدم ا لكلأ.

وقوله: "قزعة "أي قطعة سحاب. وقوله: "سلع": هو جبل أي يرونه بوضوح. وقوله: "الترس": هو ما يتقى به من ضربات السيوف. وقوله: "سبتا": أي أسبوعا. (1)

فليس في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الاستسقاء بعد صلاة الجمعة وإنما رفع يديه ودعا,وذات يوم خرج بهم إلى المصلى فخطب بهم ودعا وصلى بهم ركعتين وانصرف,فخير الهدي هديه صلى الله عليه وسلم.

ويستفاد من هذا الحديث أنه لا ينبغي لعبد أن يدعو الله برفع نعمة من النعم ,يؤخذ هذا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم حوالينا ولا علينا". ولم يقل اللهم ارفعه عنا, وإنما دعا أن يصرفه الله إلى الأماكن التي لا يتضررون منها عند نزول المطر بل ربما استفادوا من المطر عليها مستقبلا.

ويستفاد من الحديث أن الله سبحانه وتعالى ينشئ السحاب من العدم وليس كما يقول بعض الفلكيين وأتباعهم أن السحاب تتكون من بخار البحار والأنهار ونحوها فإن هذا قول لا دليل عليه فينبغي التوقف فيه لقوله تعالى: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ }[الإسراء:36] .

فإن أنس بن مالك رضي الله عنه أخبر بأن السماء كانت صافية ليس فيها سحاب ثم كوَّن الله سبحانه وتعالى سحابة صغيرة مثل الترس ثم انتشرت فأمطرت والله تعالى يقول في محكم التنزيل: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ}[الرعد:12].

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: أي يخلقها منشأة جديدة. اهـ

وقال المفسر البغوي رحمه الله: وينشئ السحاب الثقال بالمطر يقال: أنشأ الله السحابة فنشأت أي: أبداها فبدأت. اهـ

وفي الحديث المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك". رواه أحمد وغيره .

فلا ينبغي الالتفات إلى أقوال الفلكيين فعندهم نظريات تصادم النصوص , منها :قولهم :إن الشمس ثابتة والأرض تدور.

---

(1)يفضل أن يبين الخطيب هذه المعاني أثناء قراءته للحديث

والله سبحانه قد بين أن الأرض ثابتة والشمس هي التي تدور.

قال تعالى:" وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [يس : 38]

وقال تعالى:" اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً"الآية [غافر : 64]

وثبتها بالجبال لئلا تميد أو تهتز وتضطرب فقال:" أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا [النبأ : 6 ، 7]

وعندهم نظريات خاطئة كثيرة لا يجوز الأخذ بها ولسنا في صدد الرد عليها.

فعندنا كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وأقوال السلف الصالح يكفينا ويغنينا عما يقوله الكفار وغيرهم من أصحاب الأهواء .

فمن أخذ دينه من أهل الأهواء ضل وغوى ومن أخذ دينه من الكتاب والسنة فلا يضل ولا يشقى.

اللهم بصرنا في ديننا وثبتنا عليه اللهم وفقنا لطاعتك وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك واعصمنا من الزلل والقول بغير علم اللهم أدم علينا نعمك ووفقنا لشكرها اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك اللهم اسقنا سقيا رحمة لا سقيا عذاب اللهم إنا نعوذ بك من غضبك وعقوبتك وأليم عذابك ولا حول ولا قوة إلا بك.